بسم الله الرحمن الرحيم

العدد ١٠٠، مايو ١٩٩١، ذو القعدة/ذو الحجة ١٤١١هـ

صوت البحرين

نشرة شهرية تصدرها حركة احرار البحرين الاسلامية

صوت الحركة الاسلامية في البحرين

الغرب مستمر في رفض الديمقراطية في الخليج

رغم مرور قرابة عامين على التغييرات السياسية التي عصفت بالعالم وخصوصا في اوروبا الشرقية، ورغم مرور تسعة شهور على احتلال الكويت من قبل العراق وشهرين على تحريرها، لا يبدو في الافق ما يشير الى ان ثمة تغيير جدي سيحدث في البنية السياسية لمنطقة الخليج وخصوصا على صعيد الحكم وعلاقته بالمحكومين. وليس بعيدا عن الحقيقة القول بان الحكومات الخليجية نجحت حتى الآن في افشال كل دعوة لاحلال الديمقراطية او التعددية السياسية او السماح بقدر اكبر من الحريات، وان الغرب نجح كذلك في ضرب تطلعات شعوب الخليج لحياة تنسجم مع اوضاع القرن العشرين من خلال مسايرة الانظمة القبلية من جهة والتراجع عن المطالبة بسقوط صدام حسين كشرط لرفع الحظر السياسي والسياسي عن العراق من جهة اخرى.

فقد كان للاصرار الغربي على الصاق الصفة الشرعية بحكومة آل الصباح دوره في تقوية شوكة العائلة الحاكمة في الكويت بعد تحرير البلاد على ايدي القوات المتحالفة وضرب التحرك الدستوري للمعارضة. فليس غريبا على ضوء ما حدث ان يخرج رئيس الوزراء، سعد العبد الله، على العالم بعد اكثر من شهر على استقالة حكومته، بحكومة جديدة لا تختلف في شكلها وجوهرها عن سابقتها برغم التغييرات التي حدثت في البلاد. وكانت حكومته السابقة قد فشلت قبل الغزو وبعد التحرير في التصدي للازمات بشكل لائق، وجاءت استقالتها لتعطي الانطباع بان آل الصباح قد استوعبوا الدرس واعترفوا بالهزيمة وانهم سيفتحون صفحة جديدة في العلاقة مع شعبهم من خلال العمل وفق دستور البلاد لعام ١٩٦٢، وتقليص هيمنة العائلة الحاكمة على السلطة والشعب. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. وهذا ما يدعو الى الاعتقاد بان الامريكيين يتحدثون بلغة ويتعاملون باخرى، اذ لا بد ان سعد العبد الله كان قد حصل على موافقة السفير الامريكي في الكويت، الذي يعتبر هو الحاكم الفعلي في الكويت منذ التحرير، على الحكومة التي اعلنها الشهر الماضي. ولم يصدر عن البيت الابيض ما يشير الى اتجاه غير ذلك. هذا بالرغم من اصرار المعارضة على التزام الحكومة بالدستور كمقدمة لاية اصلاحات سياسية في البلاد.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى، لم يصدر تصريح غربي رسمي واحد يطالب بقية دول الخليج الاعضاء في ما يسمى مجلس التعاون باجراء اصلاحات سياسية داخلية. وهذا لا يعني عدم وجود ضغط غربي سري لاحداث شيء من الاصلاحات ولكن حتى مع وجود مثل هذا الامر فان النتائج الملحوظة لا تشير الى جدية الموقف الغربي في مجال مطالبة الحكومات القبلية باصلاحات حقيقية. وما رشح عن الحكومات الخليجية لم يتجاوز اعلان السعودية عزمها على انشاء مجلس استشاري تكرر الحديث عنه خلال الازمات التي مرت بالبلاد منذ ازمة اليمن عام ١٩٦٢، واعلان السلطان قابوس عن انشاء مجلس اوسع من المجلس البلدي الذي كان موجودا سابقا. ولا يستطيع انسان عاقل ان يعتبر ايا من الاجراءات اصلاحا سياسيا جوهريا. فكلاهما لا يستند الى تشريع قانوني وليس للشعب دور في تحديد شكلهما او صلاحياتهما. ويبدو ان حكومات الخليج ترفض ان تحدد موقعها وعلاقاتها مع الشعب بدستور ثابت كدستوري الكويت والبحرين.

ولم نسمع شيئا حتى الآن عن اية اصلاحات سياسية في الامارات او في قطر. فالامر هناك، على ما يبدو، وضع مثالي في نظر حكومتي البلدين، وبالتالي فليس هناك حاجة لاشغال الناس بالحديث السياسي. وتجدر الاشارة الى ان دبي شهدت حركة اصلاحية واسعة عام ١٩٣٨ حسمها الحاكم آنذاك، سعيد بن مكتوم، لصالحه وقضى عليها بشكل كامل. وقد تعود مشكلة هذه الدول الصغيرة الى انها دول مصطنعة، وان اي تغيير سياسي داخلي قد يؤدي الى تنامي الشعور الشعبي بضرورة توحيد دويلات الخليج في دولة واحدة ذات حكومة واحدة وشعب واحد او اية صيغة قريبة من ذلك، خصوصا بعد تجربة الكويت التي اثبتت فشل صيغة مجلس التعاون فضلا عن فشل النظام القبلي. وشعب الكويت ما يزال يشعر بالمرارة من مواقف حكومة آل الصباح التي هربت في اللحظات الاولى من الغزو العراقي تاركة الشعب لقمة سائغة للجيش العراقي. وبالتاكيد فان الحكومات الخليجية ستمنع اي توجه لاحداث وحدة حقيقية في المنطقة لان هذه الوحدة ستضع نهاية للامتيازات القبلية التي تتمتع بها حاليا.

اما حكومة آل خليفة في البحرين فقد وفرت على نفسها حتى التصريحات

البقية على صفحة ٣

اضراب السجناء

ضمن مسلسل الاضرابات بدأ المعتقلون السياسيون اضرابهم الاخير في شهر فبراير واستمر طوال شهر مارس الماضي، مطالبين بارجاع فترة الاعفاء السنوي (٣٦ يوما)، توفير المواد الاعلامية من صحف وجرائد ومجلات، جعل زيارات الاهالي بصورة شهرية، السماح بمواصلة الدراسة، السماح بدخول الاقلام والاوراق، تكييف السجون، حق الخلوة للمتزوجين بزوجاتهم، وابعادهم عن القاعدة العسكرية الامريكية لتجنيبهم ضوضاء الطائرات العسكرية والاخطار المترتبة على تواجدهم في منطقة عسكرية.

كما قام السجناء بكتابة المنشورات وتسريبها الى خارج السجن لتوزيعها على ابناء الشعب لكي يتعرفوا على معاناتهم. وقد حصلت «صوت البحرين» على خمسة من هذه المنشورات.

ورغم ما حدث في المنطقة لا يزال آل خليفة مصرين على امتهان السجناء وعدم الافراج عن اي منهم وكأن شيئا ما لم يحصل في المنطقة.

العيد الحزين في البحرين

اجتمع علماء البحرين في مسجد مؤمن في آخر شهر رمضان كعادتهم في كل عام لاستقبال المواطنين الذين شاهدوا هلال العيد. وفي ختام جلستهم هذا العام وجهوا نداءا لجميع المواطنين بعدم لبس الزينة وعدم الابتهاج بسبب المصائب التي تمر بها الامة الاسلامية لا سيما ما يحدث في جنوب العراق وشماله من مذابح واعمال بشعة. وتحدث العلماء في خطب العيد عن مآسي النظام العراقي وقمعه لعلماء الدين في النجف الاشرف وكربلاء لا سيما مضايقة المرجع الاعلى السيد ابو القاسم الخوئي.

وبالفعل لم يتم الاحتفاء بمراسم العيد الا بشكل طفيف جدا، ولم يتم تبادل الزيارات بين الناس، وبقيت البيوت والمجالس مغلقة.

وسام البحرين لشوارزكوف

منح عيسى بن سليمان آل خليفة حاكم البلاد في آخر شهر مارس الماضي وسام البحرين من الدرجة الاولى للجنرال الاميركي شوارزكوف الذي قاد العمليات العسكرية ضد القوات العراقية. وجاء منح هذا الوسام بعد زيارة الجنرال للبحرين للاطلاع عن قرب على تفاصيل اقامة القاعدة العسكرية للقوات الامريكية. وكانت واشنطن قد اختارت البحرين لانشاء هذه القاعدة بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، وبسبب تواجد قاعدتين اخريين جوية وبحرية للامريكيين على ارض البحرين.

فتح الخط البحري بين ايران والبحرين

استؤنف الخط التجاري البحري بين البحرين وايران بعد انقطاع دام اكثر من عشر سنوات منذ انتصار الثورة الاسلامية في ايران. وكانت اسواق البحرين تستورد المنتجات الايرانية من دبي، ولا يسمح بالاتصال التجاري المباشر مع ايران. الا ان السفر الى ايران لا يزال تحت المراقبة الشديدة. كما ان شباب البحرين الذين رحلوا الى ايران من اجل الدراسة الدينية لا يزالون ممنوعين من العودة الى وطنهم.

ويخشى هؤلاء العودة الى بلادهم بعد ان فشلت محاولات عدد آخر خلال الثلاثة الاعوام السابقة للرجوع لان السلطات رفضت السماح لهم بدخول البلاد.

عجز الميزانية: من سيتحمله؟

يتوقع ان يكون هناك عجز في ميزانية البلاد لعام ١٩٩١ قدره ١١٨ مليون دينار بحراني (٣١٣ مليون دولار امريكي). وسيزيد هذا العجز بمقدار ٦٪ في العام ١٩٩٢. ومن اسباب هذا العجز هبوط عائدات النفط خلال الشهور الاخيرة وسوء تصرف الحكومة في مداخيل البلاد.

وكما حدث في العام الماضي فان الحكومة ستلجأ لبيع سندات الخزينة لمواجهة هذا العجز، وبالتالي فان احتياطي البلاد سيتلاشى شيئا فشيئا.

وتجدر الاشارة الى ان عدة مشاريع انمائية توقفت منذ بداية الازمة في الخليج على اثر الاحتلال العراقي للكويت. فتوقف العمل في مشروع الجسر الجديد بين المحرق والمنامة، وكذلك مشروع المجاري الصحية في عدد من القرى والمدن. بينما لم يتوقف العمل في المشاريع الخاصة بآل خليفة مثل الجسر الذي يربط بين جزيرة ام النعسان وجسر البحرين ـ السعودية لان الجزيرة اصبحت ملكا لخليفة بن سلمان.

كما ان البحرين خسرت حوالي ٢ مليار دولار من العائدات المصرفية بسبب الازمة. وخسرت الدولة كذلك حوالي ٢٠٠ مليار دولار خلال شهر يناير الماضي بسبب اغلاق بعض الوحدات الصناعية في البلاد نتيجة لتصاعد الازمة. فهل يكفي هذا الوضع الاقتصادي المتردي للحد من مصاريف العائلة الحاكمة والتركيز على المشاريع الانمائية ام ان الضحية الاولى لهذا العجز سيكون، كما هي العادة، و شعب البحرين؟

حكومة آل صباح تكرر فشلها فتقوى المعارضة

وعادت حليمة لعادتها القديمة. فما ان حل آل صباح في الكويت بعد اندحار القوات العراقية حتى عادوا لطريقتهم الاولى في التعامل مع الناس والبلاد. ونظرة فاحصة على سلوك آل صباح منذ ٢٧ فبراير الماضي تذكرنا بايامهم الماضية، ولنسرد انجازاتهم منذ ذلك اليوم.

اولا، رغم كل الادعاءات التي كنا نسمعها قبل تحرير الكويت لم تكن لدى آل صباح خطة عملية لاعادة الخدمات الضرورية للمواطنين من ماء وكهرباء وخدمات صحية ومواد غذائية. بقيت البلاد بدون هذه المستلزمات وبقيت طوابير المواطنين من كويتيين وغيرهم تنتظر حاجياتها مما اهداه لشعب الكويت اهالي دول الخليج كالسعودية والبحرين والامارات. ولعدم اعادة الكهرباء لم تعد المياه الصالحة، كما ظلت شبكات المجاري معطلة.

ثانيا: وبدلا من بذل الجهود المالية والادارية لاعادة نوع من الحياة الكريمة للبلاد، صبت هذه الجهود في محاولة تثبيت قواعد الحكم التي انهارت عشية الغزو العراقي. وانطلقت لذلك فرق الارهاب بقيادة شبان من آل صباح بينهم ابن وابن اخ ولي العهد تعتقل المعارضين وتعذب وتقتل الجاليات الفلسطينية والسودانية في الكويت بحجة تنظيف الكويت من المتعاونين مع ازلام صدام حسين.

وتفيد بعض المصادر ان مسؤولين امريكيين عقدوا اجتماعا مع ولي العهد سعد العبد الله بصفته الحاكم العسكري في شهر مارس لمناقشة فرق الموت هذه. وقد نفى ولي العهد اشتراك عائلته في الاعمال الشنيعة التي ووجه بها، الا ان الوفد الامريكي عرض اسماء وتواريخ احداث ارهابية قامت بها هذه الفرق، واسماء المشرفين عليها مما دعا الامير الكويتي ان يرسل ابنه خارج البلاد في مهمة غير محددة.

وحسب هذه المصادر فان حكومة الكويت كانت تخطط من منفاها في الطائف لطرد ٢٠٠ الف فلسطيني لمجرد عودتها للكويت، بعد قيام بعض ابناء هذه الجالية المنكوبة بالتعاون مع الغزاة الصداميين. ورغم ان الادلة كانت كثيرة حول الموقف المشرف لغالبية الفلسطينيين من عدم التعاون مع العراقيين الا ان الخطة تم تعديلها وفقا للصعوبات العملية فقط، بحيث يتم طرد ما لا يقل عن نصف الجالية في شاحنات عبر الصحراء، وفي سفن عبر الخليج تشبه ما حدث في بيروت في عام ١٩٨٢. ولا يعرف الى اين وصلت المحادثات الا ان مصادر في الغرب اشارت الى ان زيارة جيمس بيكر الاخيرة للكويت وزيارة متوقعة لدوغلاس هيرد وزير الخارجية البريطاني تدور حول بحث انتهاكات حقوق الانسان في الكويت.

ثالثا: فشلت الحكومة الكويتية في ادارة عملية اطفاء الحرائق في الابار النفطية او التقليل من مضارها. وقد يكون من الانصاف عدم تحميل هذه الحكومة اكثر مما تستطيع، الا ان المفروض ان تقوم شركة النفط الكويتية بدراسة تشمل حدود الضرر وكيفية السيطرة عليه وما هو المطلوب ثم تطلب من الخبراء العالميين التقدم باقتراحاتهم. بدلا من ذلك تركت الامر كله لشركة رد ادير الامريكية وشركتين امريكيتين اخريين دون اشراف على مقدار التقدم بينما حرمت خبراء اوروبيين وايرانيين وصينيين تقدموا بحلول اقل ثمنا واسرع لمشكلة الابار المشتعلة.

رابعا: عجزت حكومة الكويت عن تنظيف البلاد ليس من القمامة فقط بل من مخلفات الحرب من ذخائر حية لا زالت في مناطق ماهولة مما ادى الى موت الكثير من المواطنين الذين لم يعرفوا بماهية تلك الذخائر ومدى خطورتها.

خامسا: والاهم من ذلك كله لم تستطع عائلة آل صباح ان تاخذ الدروس مما حدث فيما يخص تعاملها مع ابناء الشعب الكويتي الذين صمدوا داخل البلاد في مواجهة الغزو والارهاب العراقي وتحملوا شظف العيش والتعذيب والارهاب على ايدي جلاوزة صدام بينما كانت الحكومة ومن لف لفها تتنعم في قصر المؤتمرات في الطائف. فبعد رجوعها في مطلع شهر مارس الماضي استمرت الحكومة الكويتية في التعامل مع هؤلاء الصامدين بنفس العقلية السابقة التي تعتبر مجرد الحوار معهم فضلا كبيرا. وحاولت جهدها شق صف المعارضة المدنية من جهة والتفريق بين رموز المعارضة والمقاومة العسكرية من جهة اخرى. وعندما فشلت استقالت فاستبشر اهل الكويت خيرا.

غير ان الحكومة الجديدة عادت بالاوضاع الى ما كانت عليه وبقيت المناصب الرئيسية من خارجية ودفاع وداخلية بايدي ابناء آل صباح بينما لم تدخل الوزارة وجوه تمثل الشارع الكويتي في الداخل او المهجر.

هذه هي انجازات حكومة الكويت، ونحمد الله ان المعارضة الكويتية على وعي كامل بها، وفوق ذلك متحدة الصفوف نحو هدف واحد، الا وهو اعطاء الشعب الكويتي حقوقه الانسانية والسياسية كاملة، بما في ذلك اعادة الحياة البرلمانية بسرعة والمشاركة في ادارة شؤون كويت المستقبل ومحاسبة المقصرين. الانباء الواردة من داخل الكويت تشير الى ان الحركة الدستورية وحلفائها قد اتفقوا مع حركة الاخوان المسلمين وغيرهم وقسم كبير من المقاومة الكويتية على ارغام آل صباح على التخلي عن النهج الماضي لصالح الكويت خصوصا ولصالح منطقة الخليج على العموم. ذلك ان انتعاش الحياة الديموقراطية في الكويت سيكون له اثر جيد على مجريات الامور في دول الخليج الاخرى.

التمييز المرفوض بين ابناء الشعب الواحد

قتلتنا سياسة التمييز بين الناس. انها آفة تنخر في جسد الانسانية وداء يهدد سعادة مجتمع الآدميين. فما معنى ان يُفضل انسان على آخر بسبب لونه او دمه او عرقه او مذهبه او جنسيته؟ واية انسانية هذه التي تجعل من هذا التمييز قانونا يُعمل به وسياسة تطبق بدون معارضة من احد؟ ولماذا لا تتصدى الامم المتحدة لاستصدار قوانين تمنع هذا التمييز وتجعل اية سياسة تقوم على اساسه مخالفة لمواثيق المنظمة الدولية والعرف الانساني؟ ما معنى ان يكون قتل عشرة آلاف انسان في بلد ما امرا لا يثير السخط بينما يعتبر قتل بضع مئات من شعب آخر دافعا لقيام حرب شعواء؟ لماذا يكون اعتقال الامريكي او البريطاني سببا لقطع العلاقات الدبلوماسية بينما الامر غير ذلك عندما يُفتك بالوف الناس من ذوي الجنسيات الاخرى؟

ولنضرب امثلة على ذلك:

(١) مارس الحلفاء سياسة التدمير الجوي الشامل للعراق خلال الحرب للتقليل من ضحاياهم. وكانت الطائرات والصواريخ البعيدة المدى تقصف المواقع المدنية والعسكرية على حد السواء، واستمرت الحرب الجوية ستة اسابيع لتحدث خرابا شاملا في العراق لكي لا تقع ضحايا كثيرة بين قوات الحلفاء. والطلعات العسكرية لم تستهدف صدام حسين ولا قواته المعروفة بالحرس الجمهوري، بل استهدفت المنشات العراقية التي يستفيد منها الشعب، واستهدفت الجنود العاديين، وجرت مجزرة كبيرة بالقرب من جسر المطلاع بعد اعلان العراق انسحابه من الكويت، وعندما كان الحلفاء يضربون القوات المنسحبة كانوا يعلمون ان معظم هؤلاء من الجيش وليسوا من الحرس الجمهوري الشرس. فقد قتل اكثر من مائة الف انسان، ولم يقتل من الحلفاء سوى العشرات، ولم يكن صدام حسين هدفا عسكريا، بل كان شعبه هو الاكثر استهدافا.

(٢) تمارس «اسرائيل» سياسة التصفيات الجسدية للشعب الفلسطيني فتقتل الناس بالرصاص في الشوارع وتنسف بيوتهم وتحكم عليهم بالنفي من ارضهم، وترسل قواتها الخاصة لاغتيال الزعماء الفلسطينيين في تونس وغيرها، ولا يتحدث احد عن الارهاب الاسرائيلي. وعندما يقتل اسرائيلي واحد من قبل منظمة فلسطينية او شخص ثائر بنفسه، يمتلىء العالم صراخا عن ضرورة مكافحة الارهاب الفلسطيني، بدون ان يكلف احد نفسه عناء البحث عن الدوافع والاسباب لمثل هذه التصرفات. والامر نفسه ينطبق على وضع اللبنانيين والفلسطينيين في جنوب لبنان. فهنا يتعرض الناس للقصف بالطائرات والمدافع والدبابات، ولا يعترض احد ولا يستدعي الامر اجتماعا لمجلس الأمن ولا يرفع احد مذكرة احتجاج للحكومة الاسرائيلية. بينما الامر ليس كذلك عندما يكون الطرف الفاعل عربيا او مسلما.

(٣) عندما تحكم الاقلية الموالية للغرب بلدا عربيا ما، فتنطلق الاكثرية للمطالبة بحقوقها، يصبح الحديث طائفيا حتى حين تمارس هذه الاقلية الحاكمة سياسات طائفية واضحة. ولكن عندما تكون هناك اقلية موالية للغرب او من المسيحيين او اليهود فان اي ظلم تتعرض له هذه الاقلية يكون في العادة كافيا لاثارة الموضوع على المستوى الدولي وتتهم الاكثرية بطائفيتها وانتهاكاتها لحقوق الانسان. اما حين تكون الاكثرية التي لا توالي الغرب مسحوقة فلن اي تصرف منها يردع ويقمع باشد القوة وتنطلق وسائل الاعلام لشن الحرب على هذه الاكثرية. صدام حسين يأمر جنوده برفع شعارات «لا شيعة بعد اليوم في العراق»، فيكتبها الجلاوزة على جدران بيوت النجف وكربلاء وعلى دباباتهم، ويمارس سياسة التصفية الكاملة للاكثرية العراقية، فلا يهتم العالم بما يحدث هناك. ولكن الامر ليس كذلك عند الحديث عن الاكراد، مع اعترافنا بظلامتهم وتضامننا معهم بشكل كامل. فما الفرق بين الجانبين؟ ولماذا يستمر دم الشيعة مهدورا في بلدانهم وتبقى حقوقهم مهضومة، او ليسوا بشرا كغيرهم؟

(٤) وفي البحرين، كما في العراق، لم يكن الشيعة طائفيين يوما من الايام ولم ينظروا الى اخوانهم من السنة الا نظرة الاحترام والتعاون. وفي الوقت نفسه لم تنطلق الدعوات الطائفية ضد الشيعة من الجانب السني. ولكن ما امامنا من حوادث طائفية خلال هذا القرن يشير بكل وضوح الى ان الطرفين الاساسيين المستفيدين من استمرار حالة التمايز الطائفي هما آل خليفة والبريطانيون الذين كانوا يقدمون الحماية لهم. هؤلاء البريطانيون كانوا يعتقدون ان الامر لن يستتب لهم في البلاد الا بدعم الجانب الذي يمثل الاقلية وفي الوقت نفسه تكريس حالة التمزق الطائفي بتطبيق سياسات التمييز على اسس مذهبية بحتة. وآل خليفة مارسوا، وما يزالون، هذه السياسة. وحين يتحرك الشيعة للمطالبة بحقوقهم المهضومة، تشن الهجمات السياسية والاعلامية ضدهم بتهمة الطائفية والشعوبية. هذا في الوقت الذي يعتبر الشيعة اكثر حرصا على وحدة المسلمين من اية طائفة اخرى. ولكن الحاكمين يشعرون بان بقاءهم يعتمد على تمزق الصف الوطني. وفي البحرين كانت الحكومة في اضعف حالاتها عندما كان السنة والشيعة متحدين في موقف المعارضة ضد آل خليفة والانجليز الذين كانوا يدعمونهم.

بعد هذا نتساءل: اليس من حقنا كبشر ان نعيش سواسية بدون تمييز على اسس الاعراق والقوميات والمذاهب؟

قواعد امريكية في الخليج: عودة الاستعمار العسكري؟

تعكف ادارة الرئيس الامريكي جورج بوش على دراسة التقارير الواردة من منطقة الخليج والتي تدور حول الجدوى السياسية والاقتصادية من اقامة قواعد عسكرية لها على اراضي الدول العربية في الخليج. ويتوقع ان تتخذ قرارا يتم بموجبه الحسم في هذه القضية التي اعيد طرحها بقوة اثناء ازمة الكويت وبعد انتهائها. وكانت معظم المداولات بين حكام الخليج والقادة الامريكيين العسكريين والمدنيين الذين جابوا المنطقة في الآونة الاخيرة تدور حول هذه المسألة الحساسة.

فالتواجد البحري الامريكي في مياه الخليج، والذي يعود تاريخ وجوده الى اواخر الاربعينات من هذا القرن كان يحظى بتعاطف من حكومات الخليج عموما بعد انحسار القوة البريطانية عالميا وتقليص تواجدها في المنطقة. وتطور هذا التواجد من «تسهيلات» بحرية الى وجود فعلي على الارض في بعض دول الخليج مثل السعودية وعمان والبحرين، الا انه لم يصل الى مستوى كبير وقوي (قبل ازمة الخليج) كما هو في بعض دول العالم مثل الفلبين. واقتصر في اغلب الاحوال على اعداد كبيرة من العسكريين (اضافة الى اكثر منهم من المدنيين) الذين كلفوا بمهمات التدريب وصيانة المعدات. وازداد هذا الوجود بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران واندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية. واتخذ شكلا سافرا عندما قام طيارون امريكيون باسقاط طائرة عسكرية ايرانية وضرب المنشآت النفطية التابعة لايران في الخليج واخيرا اسقاط طائرة ايرباص تابعة للخطوط الايرانية.

والخيارات التي تدرسها الدوائر السياسية والعسكرية الامريكية الآن هي الاختيار بين الابقاء على شكل من اشكال الوجود العسكري السابق او المضي قدما في اقامة قواعد عسكرية على غرار ما لامريكا في كثير من دول العالم.

ولحسم المسألة اهتمت هذه الدوائر بدراسة رأي حكومات المنطقة وكذلك جس نبض شعوبها. وهذا ما لم يكن معروفا عن صانعي القرار في البيت الابيض الذين عرف عنهم التهور وعدم الاخذ في الحسبان ردود الافعال الشعبية حيال تصرفاتهم. وكان غريبا ان نسمع علنا عن زيارات يقوم بها سفراء امريكا في المنطقة لفعاليات اجتماعية يدور الحوار فيها حول ردود الافعال الشعبية لما قامت به امريكا اثناء ازمة الكو[illegible] في هذا السياق ايضا جاب المنطقة عدد كبير من الرسميين الامريكيين، مدنيين وعسكريين، بهدف الوقوف عن قرب على الرأي الرسمي الخليجي حيال هذه المسألة البالغة الحساسية. وجاءت زيارة الجنرال تشارلز هورنر قائد القوات الجوية الامريكية في القيادة المركزية لقوات التحالف في الخليج لهذا الغرض. وصرح مصدر رسمي بعد لقائه بالامير في البحرين ان اللقاء تناول مرحلة ما بعد حرب الخليج والامن في المنطقة. كما قام الجنرال نورمان شوارزكوف قائد قوات التحالف، قبل عودته الى بلاده بجولة على دول الخليج. ورغم الضجة التي احيطت بزيارته وتسابق دول الخليج على منحه الاوسمة والنياشين الا ان مصادر البيت الابيض قالت ان الهدف من جولته هذه هو بحث الوجود الامريكي المستقبلي في المنطقة. ويدور الحديث في كواليس البيت الابيض حول السعودية او البحرين او كليتهما لاختياره موقعا عسكريا.

حول اختيار البلد الانسب قالت مصادر صحافية امريكية قريبة من البيت الابيض ان البنتاغون على وشك توقيع اتفاق مع دولة البحرين ينص على انشاء قاعدة عسكرية للولايات المتحدة في هذه الدولة الخليجية. واشارت الى ان عدد الامريكيين فيها لن يزيد على ٢٠٠ فرد وسوف تقتصر مهمتهم الرئيسية على التخطيط والتدريب. واكدت هذه المصادر التي توافقت معلوماتها مع تصريحات الجنرال نورمان شوارزكوف ان قيادة العمليات للشرق الاوسط سوف تبقى في تمبا (فلوريدا) ولن تنقل الى منطقة الخليج. وجدير بالذكر ان المطار العسكري الواقع في جنوب البلاد (قاعدة عيسى) استخدمه الامريكيون طوال الازمة الكويتية، ولا زالوا حتى يومنا هذا، وكان هدفا لاربعة صواريخ من نوع سكود اطلقها العراق واحدثت اضرارا لم يعرف حجمها. بينما استخدمت القوات العسكرية البريطانية المطار المدني في المحرق الذي لم يتعرض لقصف صاروخي.

وفي هذه الاثناء اعرب مسؤولون في وزارة الدفاع الامريكية عن رغبتهم في تفضيل وجود عسكري امريكي على الاراضي السعودية على غيرها من دول الخليج. وكانت الرياض والمنامة اهم محطتين توقف فيهما شوارزكوف في جولته الخليجية. وحرص في جميع مؤتمراته الصحافية التي عقدها بعد محادثاته على التأكيد على عدم وجود نية امريكية لانشاء قواعد لها في الاراضي الخليجية. وترى جهات امريكية رسمية واكاديمية ان اقامة قواعد عسكرية يعد بمثابة انتحار سياسي ترتكبه الولايات المتحدة. وترى ان عملا من هذا النوع سوف يثير غيرة الوطنيين، وفي مقدمتهم الاسلاميين، ضد هذا الوجود مما يعني ادخال اميركا في مواجهة مع شعوب المنطقة وتعريض مصالحها للخطر وهذا عكس الهدف الذي تسعى لتحقيقه. كما يعري عمل كهذا المنطقة ويظهر ضعفها امام شعوبها والقوى الاقليمية التي تعارض الوجود العسكري الاجنبي في المنطقة وفي مقدمتها ايران الاسلامية. ويرى اصحاب هذا الرأي ان الوجود الخفي لامريكا، كما هو الحال قبل ازمة الكويت، هو اكثر عقلانية وحكمة من الوجود المكشوف. وقد يتخذ ذلك شكل الخبراء والمدربين والمناورات العسكرية المشتركة. وقد اعلن بالفعل في اواسط ابريل الماضي ان الولايات المتحدة تسعى لاجراء تمارين عسكرية دورية مع دول عربية خليجية تشارك فيها قوات امريكية سترسل الى المنطقة بصفة مستمرة للبقاء فيها فترة مؤقتة.

واشار ناطق امريكي للبيت الابيض ان الامريكيين عرض عليهم أمكان تحريك قوات من المنطقة واليها بشكل مستمر. واشاروا الى ان فترة بقاء كل مجموعة لن يتعدى ستة اشهر.

الحكومات الخليجية تجد نفسها الآن في مأزق حقيقي بعد ان وضعت بيضها كله في السلة الامريكية واعتمدت اعتمادا كليا على القوى الغربية، والامريكية على وجه التحديد، وتناست دور شعوبها وتمادى بعضها في السير في هذا الاتجاه حتى قال وزير الاعلام طارق المؤيد عندما سئل عن امكانية اقامة قاعدة امريكية في البحرين: اننا وقفنا على الدوام موقفا ايجابيا من مسألة امن الخليج ولن يكون لنا موقف سلبي في هذا الخصوص. ويتجلى هذا المأزق بوضوح في معارضة شعوب المنطقة لهذه الاتفاقيات التي تجري في الخفاء بين حكومات المنطقة وهذه القوى الاستعمارية التي لا هم لها سوى الحفاظ على مصالحها. وقد ايقظت هذه التصرفات من كانت هذه الحكومات تعتبرهم في صفها. ونحسب ان ردود الافعال الشعبية تجاه التواجد وجدت آذانا صاغية لدى حكام الخليج.

الغرب مستمر في رفض الديمقراطية ـ البقية

الخلوية، فلم نسمع عن توجه لاعادة العمل بدستور البلاد او اجراء انتخابات برلمانية. ولم نسمع عن اطلاق السجناء السياسيين الذين عارضوا الحكومة بسبب موقفها الداعم لنظام صدام حسين طوال العقد الماضي. كما لم نسمع عن اية محاولة رسمية لتحسين العلاقة مع الغالبية الكبرى من الشعب كاعادة فتح المدارس الدينية الخاصة او الجمعيات المغلقة او رفع سياسة التمييز في التوظيف والمناصب على اسس طائفية بحتة. ولم نسمع كذلك عن توجه آل خليفة لرفع حالة الطوارىء المعمول بها في البلاد منذ العام ١٩٥٦. بل ان هناك تقارير عن اعتقالات جديدة خلال الشهرين الماضيين، وعن الاستمرار في ملاحقة العلماء والشباب واستمرار حجز جوازات سفر العديد من ابناء البلاد. يحدث هذا امام مرأى الجنود الغربيين المتواجدين في البلاد. وبرغم وجود الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى، الامر الذي يؤكد ان سياسات آل خليفة تتمتع بالقرار غربي غير معلن.

الواضح من كل ذلك ان هناك اتفاقا في المصالح بين الغرب والعوائل الحاكمة في الخليج. وكما هو معروف فان الغرب لا يستند في مواقفه وسياساته الى مبادىء ثابتة، اذ ليس هناك شيء منها، بل الى مصالح ثابتة. وحماية هذه المصالح، في نظر الولايات المتحدة وبريطانيا، لا تتحقق الا بدعم الانظمة الضعيفة حتى لو لم تكن تحظى بشعبية، فقوتها مستمدة من الدعم الغربي لها وليس من السند الشعبي. فبهذه المعادلة تستمر القبائل الخليجية في الحكم بدعم غربي مباشر على الصعيدين العسكري والامني. ويستمر الغرب في اعتبار هذه الانظمة ادوات لحماية مصالحه ومنها تدفق النفط بكميات كافية واسعار هابطة. ولا يقتصر الامر على علاقة الغرب بدول الخليج، بل الامر ذاته قائم في العلاقة بين الغرب وصدام حسين. فبالرغم من كل ما حدث من خراب ودمار في المنطقة بسبب ديكتاتورية طاغية العراق، فان الغرب تراجع في الاسابيع الاخيرة عن المطالبة باسقاط نظام صدام حسين وشجع المعارضة على التفاوض معه. فبدا الاكراد في التفاوض مع حاكم بغداد، وهناك محاولات لاجبار الحركة الاسلامية العراقية على القبول بمبدأ التعايش مع نظام البعث في بغداد. فالغرب يرى ان استمرار صدام الضعيف في الحكم يوفر ضمانا اكبر لاستمرار الهيمنة الغربية على العراق. وصدام حسين مستعد لان يستمر في خدمة الغرب اذا سمح له بالبقاء. وهكذا نراه يقدم التنازلات، الواحد بعد الآخر، ويوقع على كل اتفاقات الاستسلام ورهن البلاد للغرب.

هذه الحقائق تكفي لتوضيح الموقف. فالنفاق السياسي الغربي هو احد اسباب الازمة السياسية القائمة في الخليج على الصعيد الداخلي. فالغرب متعهد بتقديم الدعم العسكري لمواجهة اي تحدّ خارجي للعوائل الحاكمة والدعم الامني لمواجهة اية تحديات داخلية. وحيث انه يمتلك وسائل الدعاية والاعلام فانه لا يعبأ بما تقوله المعارضة، ولا تحركه الصرخات الانسانية، وفي احسن الاحوال فانه مستعد لتقديم بعض المساعدات الانسانية بشرط ان يكون الطرف الذي يستلمها منه قابلا بشروطه السياسية، كما حدث مؤخرا مع الاكراد. ولعل الشعور بالقوة المفرطة هو الدافع الحقيقي للاستمرار في هذه السياسة، مع العلم بان هذه القوة كافية لحماية المصالح الغربية حتى مع وجود انظمة سياسية مستقلة تتمتع بدعم شعبي وتستند الى قواها الذاتية. والا فما معنى غض النظر عن الوضع السياسي في دول الخليج رغم ما ينطوي عليه من مآس انسانية وامتهان لحقوق الانسان وسحق لكرامته؟ والى متى ستستمر سياسة دعم الانظمة الديكتاتورية المتخلفة كانظمة الخليج استنادا الى الادعاء بانها الحامية لمصالح الغرب؟ اذا كان النظام العالمي الجديد الذي تبشر به واشنطن يستند الى هذه الاسس، فانه محكوم بالفشل منذ بدايته وقد تكون منطقة الخليج قبره الدائم.

صرخة من داخل السجون: مثقفونا اين انتم؟

لا شك انها لم تكن صرخة واحدة، ولكنها صرخات متتالية وانات متوالية تتدفق علينا تترا كانها رعد مجلجل قاصف.. مزيج من صرخات الإستغاثة وزئير ليوث الغابة.. علها تبعث فينا روح الحركة.. وتضخ في عروقنا المتجمدة نفس الحياة.. وتوقظنا من رقدتنا بعد طول سبات. انها صرخات أبنائنا واخواننا المغيبين في سجون آل خليفة الرهيبة لا لشيء الا لانهم احرار ولا لجرم سوى انهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا. هذه الثلة المؤمنة التي تتعرض خلف القضبان في كل يوم الى صنوف الارهاب والتعذيب والحرمان واشكال الحقد الخليفي المتمرس في قهر الانسان. تناشدنا جميعا وبالخصوص العلماء والمثقفين ان ننهض بمسؤولياتنا ونؤدي واجبنا تجاههم. ولنعذر امام الله وامام تنفسنا وامام التاريخ. ونقول قولنا هذا ونحن على ثقة من ان ابناءنا في السجون معنوياتهم عالية شامخة وعزائمهم قوية راسخة ونفوسهم ابية كريمة. ولكنهم بعثوا الينا بهذه الرسالة من باب التذكير بالواجب فان الذكرى تنفع المؤمنين.

ومن الجدير بالذكر ان المعتقلين السياسيين في سجون البحرين يقضون كل فترات سجونهم الطويلة داخل الزنزانات ولا يسمح لهم بالخروج منها الا لساعة واحدة في اليوم الواحد وهي زنزانات قذرة ضيقة جدا، قليلة التهوية للغاية وتحت ادارة سجانين مرتزقة جفاة من بادية الاردن واليمن وباكستان. فما بالكم باحوالهم وظروفهم ولا سيما صيفا حيث شمس الخليج اللاهبة ودرجة الحرارة تصل الى ما فوق الاربعين درجة مئوية والرطوبة تتعدى ما هو مألوف. ولكن بعد الثاني من اغسطس ١٩٩٠ اصبح الخليج غير الخليج والحال غير الحال، فالسعودية اطلقت سراح الكثير من المعتقلين السياسيين وهناك وعود باطلاق سراح الآخرين، والحكومة الكويتية قد تنازلت عن كل الاحكام السابقة ضد المعتقلين والمبعدين، اما آل خليفة فقد ازدادوا عتوا ونفورا. فالاعتقالات لم تتوقف والتعذيب لم ينقطع وملاحقة الاحرار مستمرة ومطاردة الملتزمين قائمة على قدم وساق.

لقد بات الحديث عن دور حملة العلم واهل الثقافة في نهضات الشعوب نحو التحرر والانعتاق من قبيل تحصيل حاصل. فكل شعوب الارض التي ظفرت باستقلالها ونالت حريتها قد قدمت خيرة ابنائها المثقفين طوعا قرابين على مذبح الحرية المقدس. وكما يقول الامام علي (ع) العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل. فاين هم مثقفونا الذين يعتبرون العلم مسؤولية لا بد من تاديتها وواجبا يتحتم القيام به ودفع ضرائبه نحو الله، نحو الارض والشعب بلا منّة ولا تفضل ولكنه عين الواجب. ونحن لن نذهب بعيدا عن منطقتنا حيث نستشهد بجارتنا الكويت، لما للبحرين والكويت من سمات مشتركة كثيرة. فالمثقفون الواعون في الكويت تحملوا مسؤولياتهم تجاه شعبهم وكانوا في مقدمة المطالبين بالحقوق الشرعية لمواطنيهم، فكانت مجالسهم وديوانياتهم تعج بجموع المواطنين الكويتيين من مختلف التوجهات الذين وجدوا في هؤلاء النفر الجدية والاخلاص، فالتفوا حولهم وساندوهم وسمعوا منهم، هناكلك قويت شوكتهم واشتد ساعدهم فطرقوا ابواب الحكومة بعنف وقوة، والحوا واجتهدوا في الطلب، فلم تجد آل صباح بدا من الانصياع لمطالب الجماهير بحق المشاركة في صنع القرار، حتى اصدر امير الكويت قرارا باستئناف الحياة البرلمانية وقد كان ذلك قبل عملية الغزو الصدامية. ولما لم تكن استجابة امير الكويت في مستوى وطموح الشعب الكويت رفض المثقفون الواعون المشاركة في البرلمان الشكلي واصروا على نيل حقوقهم كاملة طبقا لدستور البلاد المكتوب لعام ١٩٦٢م. وقد اطلق على نشاطاتهم الوطنية تلك اسم الحركة الدستورية، لانها كانت تنطلق في مواجهتها للحكومة من بنود الدستور، وكانت تلزم آل صباح بالانصياع لمواد الدستور الكويتي بنفس القدر الذي ترغب فيه السلطة من عموم الشعب احترام ذلك الدستور. وفي الحقيقة فان الحركات الدستورية قد انسابت موجات وموجات ومرت بالكثير من بلدان العالم التي لم يكن بوسعها قبل ذاك ان تتنسم عبير الحرية او التمتع بالقليل منها واصبحت الآن في وضع نغبطها عليه، حتى توقفت تلك الموجات عندنا ولم تدخل بعد جزيرتنا، فاين مكامن الضعف؟ وهل ساطنا انفسنا عن الاسباب والعلل بغض النظر عن الضغوط الخارجية والمؤثرات الدولية.

وللعلم فان كل تلك الاسباب في الوقت الراهن لصالح حركة الشعوب نحو الاستقلال. والنغمة العالمية الآن اكثر من اي وقت مضى تقف مع احترام حقوق الانسان وصيانة كرامته. وفي اوروبا الشرقية والصين وانحاء اخرى من العالم كان المثقفون هم الكوادر الاولى والطلائع السباقة الى ميادين المواجهة مع الظالمين ومقارعة المستبدين. وقد الوا على انفسهم الا يعيشوا تحت المذلة والقهر والا يقبلوا بالقمع والمهانة حتى طالهم من عسف الحكومات وبطشها النصيب الاوفر، فسقط من سقط واعتقل من اعتقل ونفي من نفي ولكن ايمانهم بعدالة قضاياهم وحبهم المتاجج لشعوبهم وتفانيهم الدؤوب في خدمتها والقيام على مصالحها وعشقهم لاجواء الحرية وحياة الكرامة كل ذلك كان كافيا لنيل امانيهم وتحقيق تطلعات شعوبهم ولو بعد حين وسلام. على من قال: ما ضاع حق وراءه مطالب. حتى ان احد المثقفين المناضلين قد وصل الى منصب الرئاسة في احدى الدول وهو الرئيس التشكيكوسلوفاكي الاديب فاكلاف هافيل.

مثقفينا الكرام: لم تعد مبرراتكم تكفي ولا تعللكم يجدي.. فالعمل العمل. اذ كل يوم يمضي ونحن نذوق مذلة الاسترقاق وهوان التجاهل، ونشعر اكثر فاكثر الى اي مدى نحن متقاعسون والى اي حد نحن متواكلون والى اي مقدار نحن كسالى نائمون. فاين هم حملة العلم وحملة النور وحملة الثقافة الذين لا ولن يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم!؟ فهل مثقفو الشمال او مثقفو الشرق هم ابناء الملائكة؟ ام انهم خير منا!؟ واذا كانت سياسة الترغيب والترهيب التي يمارسها النظام العشائري في البلاد قد اثرت نوعا ما على العامة من الناس، فلا ينبغي البتة ان تنال من عزم اهل الصفوة، اذ يلزم اهل المعرفة ان يقوّموا انفسهم ويحترموا ذواتهم وعلومهم، والا ينحنوا لطاغية البلاد مهما استبد، والا يتكالبوا على فتات موائده مهما رغبهم او استمالهم. فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ اما اذا كنا نتحين الفرصة المواتية لطرح مطالبنا الشرعية على السلطات فها نحن نمر بافضل مناسبة. فالعدوان الصدامي على الكويت كان احدى النتائج المتوقعة للسياسات الحمقاء والممارسات الخرقاء التي كانت تنتهجها مشايخ الخليج وعلى راسها آل خليفة. فكم هي اعداد الشباب الذين تم اعتقالهم وما زالوا تحت طائلة قانون امن الدولة السيء الصيت بسبب معارضتهم للسياسات تلك؟

وبعد انجلاء حرب الخليج وبعد تبدل موازين القوى في المنطقة اصبحنا نسمع اصواتا تنادي باحترام حقوق الانسان في الخليج من كثير من المؤسسات السياسية في الغرب. والدول الغربية الآن بالتعاون مع دول المجلس واطراف اخرى تبحث عن صيغة امنية جديدة وذلك بعد ان فشلت فشلا ذريعا مشاريعهم السابقة التي كان تعد وتسوى من خلف ظهر الشعوب ورغما عنها. واية صيغة امنية اخرى لا تاخذ في حسبانها راى الجماهير لن تكون نتيجتها باسعد من سابقتها. ومن هذا المنبر الشعبي نقول وكما قلنا مرارا انه لا امن ولا استقرار ولا تقدم ولا رخاء الا باطلاق الحريات واحترام حقوق الانسان واعطاء المواطن حقه الطبيعي في المشاركة في صنع قراره بنفسه.

ولا نعتقد ان ذلك بعيد اذا ما تضافرت كل الجهود وتوفر الجد و الاخلاص. ولنا في من سبقونا في هذا المضمار عبرة، والكرة الآن في مرمى مثقفينا، فهل يستجيبوا للنداء؟

تضامنا مع شعب الرافدين

من دماء الكماة عطر يفوح ... عند نهر الفرات وهو جريح
نسمات الربيع أنشقُ منها ... عبقات الشهيد وهو ذبيح
وتراتيله صداها شموخ ... وله في الانام وجه صبيح
وثراه يفوح ريحا وروحا ... وسناه على الديار يلوح
فاز بالحسنيين حيا وميتا ... وله في المعاد تُبنى الصروح
فهو في قمة المعالي جليس ... لعُلاه العلي تهوى السفوح
خسيء البعث ان يحطم مجدا ... دونه المجد يفتدي ويروح
بمُضاه الحياة تشهد قولا ... وبأسراره الحروب تبوح
انه الحر رغم كيد الليالي ... كبرياء وهمة وطموح
انه الثورة الكبيرة فينا ... إنه الحق صادق وصريح
فهو من معدن الصفاء مصوغ ... وله رهبة وقلب سميح

*****

ما لبغداد تغتدي وتروح ... وبأحشائها الهموم قروح
ما لأرض الغريّ في زفرات ... قد علاها الحمام وهي تصيح
عبس الخطب في حماها وماجت ... حوزة العلم والمعزّى طريح
ملأت سوقها جماجم قوم ... من ذوي العلم شأنها التسبيح
وبأرض الطفوف عاشت خرابا ... طغمة الشر للحمى تستبيح
رام جزارها الخراب فلما ... كاد عن عرشه الذليل يطيح
راح في المسلمين قتلا وهتكا ... واشتكى جرمه الفظيع الضريح
فمتى ينجلي البلاء ويمضي ... عن ديار العراق وجه قبيح
ومتى تلكم القبائل عنا ... تتهاوى عروشها والصروح
يومها يهنأ الخليج بأمن ... ويُرى في الربوع عيش فسيح